أنا وأنت

مجموعة قصصية

اسم الكتاب: أنا وأنت
تأليف: أحمد الخميسي
تصميم الغلاف : حاتم سليمان
رقم الإيداع: 2015/14249
الترقيم الدولي: 978-977-6376-83-0

***

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

كيان للنشر والتوزيع – 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحى الجيزة – الهرم
محمول: 01000405450 -01005248794 – 01001872290 – أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com - info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

© جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبع أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من النـاشـر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

أنا وأنت

أحمد الخميسي

مجموعة قصصية

إهداء

ثمة كائن صغير أشعر بلمس قدميه في قلبي. كائن لا يكف عن الحركة ، يثب من ركن إلى آخر ومن اليمين إلى الشمال ومن أعلى إلى أسفل. لست أراه ، لكني أحس وجوده من اختلال الهواء حولي. أسأل نفسي : أيكون مهرجاً في رداء ملون أم نبياً صاحب رسالة؟ يقفز بين أضلعي. يغسل وجهه بماء أحلامي. يأكل من ذكرياتي البعيدة. يمكث قلقاً متطلعاً إلى فراغ يترقب شيئا ما. ما الذي ينتظر؟ أن يركض العالم فجأة مشحوناً بالعاطفة والكبرياء حراً لا حد لعنفوانه؟ سخياً جليلاً مثل ملك؟ بريئاً كطفل ليس لجماله وصف؟ أهذا ما ينتظره النبي أم أن هذا ما يسخر منه المهرج؟ أيا كان فإني أحيا على حزن واندفاع وخوف وجسارة ذلك الكائن الصغير: أمل.

أحمد الخميسي

أنا وأنتِ

نجلس أنا وأنتِ إلى المنضدة التي تجمعنا كل يوم، صامتين، كعادتنا منذ سنوات. نستعد للإفطار. أنا وأنتِ. تمدين بصركِ إلى الجدار الأزرق الفاتح خلف ظهري. أتملى وجهكِ بعمق وحب ويأس. أروح وأجيء أجلب أطباق الطعام من المطبخ. يجلد قلبي أمل لا يموت. أجلس أمامكِ. أنا وأنتِ. عيناكِ تنظران بشرود خلف ظهري. لا ترينني. أرفع لقمة إلى فمي ولا أحني رأسي، ليظل وجهك أمامي، فلا يغيب عني حزنك الذي يشبه شعاعًا ينكسر. أنا وأنتِ.

تُفلت من الشرفة هبة هواء تلامس وجهينا بقبلة ثم تنزلق إلي بياض خزف الفنجانين. ثمت ذكريات تتقلب. تطرف بعينيها. تتمطى بكسل على سرير الزمن. ثمت قلق ومحبة وعزلة مؤلمة. ينتفض النبض في شريان رقبتك التي كانت تغمر وجهي بالعرق من انفعالك وهي تتلوى مثل طائر يحترق. تجري إلينا من فروع الشجر الممتدة إلى الشرفة سعادة، فنشعر أنا وأنتِ أننا كتلة واحدة اقتطعها القدر من صخرة عريقة، من برق قديم، نشعر رغم أنكِ منذ سنوات تمدين بصركِ إلى الجدار خلفي أنه ليس لنا سوانا. أنا وأنتِ.

وأن موتنا سيكون كانغلاق عينين في اللحظة ذاتها. لا أحد منا يسبق الآخر. أنا وأنتِ.

تناولتُ قطعة من الجبن. أنتِ لم تمدى يدك إلي سلة الفاكهة. لم تتناولي تفاحة خضراء. لم تمسكي السكين. لم تبدأي في تقشير التفاحة. أخيرًا أنتِ بدأتِ لا تقضمين منها بأسنانك. أصبُ الشاي وأنا أسمع صوت أنفاسكِ. أقلب السكر في فنجانك بالملعقة التي اشتريناها أنا وأنتِ منذ سنوات وكانت مذهبة وانطفأ وهجها. أنظرُ إليكِ. تواصلين التطلع وراء كتفي بحزن. كأننا لسنا سعداء. كأننا لسنا عاشقين. أرتشف رشفة من فنجاني. أنتِ لا تقبضين على يد فنجانك. ثم لن ترفعي الفنجان إلى شفتيك. أخيرًا لن ترتشفي شيئا بهدوئك المعتاد. لو أنني أعلم فقط السر الذي يجعلك بعيدة هكذا؟!! لو أعرف إلى أين تتطلعين طوال الوقت؟

أنهينا إفطارنا. حان الوقت كي لا تنهضي. لا تتجهين إلى المطبخ. لا تقفين هناك تغسلين الأطباق. ألحق بكِ. أناولك الأكواب. لا تأخذينها من يدي. لا تضعينها قرب الحوض. أظل واقفًا خلفكِ أخفق مضطربًا من الشريان الذي فى رقبتك. أطبع قبلاتي على أذنكِ الصغيرة الدقيقة. أرتدي ملابسي لأتجه إلى عملي. أنتِ لن ترافقيني حتى باب الشقة. ستظلين جالسة على المقعد بنظرة شاردة. أرجع متأخرًا في المساء ممتلئا بغرامي بك. نتناول العشاء، أنا وأنتِ بقلق ومحبة وعزلة

مؤلمة. نتنشق رائحة الخبز الساخن فوق المنضدة. ذكريات في طريقها إلى النوم تتقلب على السرير. ينتهي يوم طويل جعلنا جزءًا من ذكرياته. يخطر لي أن المخيف في الموت هو الوحدة. مسيرة المرء بمفرده في ذلك الوادي. ذلك لن يخيفنا لأننا معًا. أنا وأنتِ. لأنه كانت لنا لحظات مشبعة بالغرام والعذوبة، بالهواء الذي يتدفق من الشرفة بلون المساء مؤرجحًا أطراف الستارة البيضاء.

أتملى وجهك بحب وعمق ويأس في حجرة النوم. تمدين بصرك من فوق كتفي إلى صوان الملابس. تهبطين برأسك إلى الوسادة. تطفئين المصباح الصغير. يظل قلبي متيمًا بكِ وفيه أمل لا ينتهي. فقط لو تقولين لي مَن مِنا الذي مات ولم يعد يرى الآخر؟

***

روح الضباب

تقطعتْ أنفاسه وهو يعدو في الضباب. يجري تنحل الطرق وتذوب جوانبها أمام عينيه وتعلو وتميل. يواصل العدو، ولا شيء سوى صرخات صغيرة من حوله، وفوقه تهرس أذنيه برنين أبيض قاطع. لمح بصيص نور في آخر زقاق عن يمينه. انطلق نحوه وقبل أن يصل إليه تفجر النور أمامه حريقًا هائلاً. تراجع مذعورًا يحمي وجهه بكفيه وركبتاه ترتعدان. تكشفت عمائر من حوله على ضوء ألسنة اللهب. أطلق ساقيه نحوها. انسربْ إلى مدخل أول عمارة صادفته من دون أن يحسب حساب أي شيء. خطفًا ارتقى في العتمة درجات سلم. توقف يلهث أمام باب مصعد حديدي قديم. اندفع يفتحه بقبضة مرتجفة. أضاءت «لامبة» ضعيفة في الكابينة الضيقة. فوجيء بفتاة على أرضية المصعد ظهرها للجدار منكمشة في بلوزة وبنطلون جينز.

- أنتِ؟ ماذا.. ماذا تفعلين؟ من أنتِ؟

حدجتْ فيه بهلع:

- أنا؟!

ضمتْ ركبتيها إلى بطنها وطوقتهما بيديها. أغلق الباب بدفعة من كتفه. أدرك أنها على الأرجح لاذت بمصعد العمارة

مـن الصرخـات الحـادة في الضبـاب الأزرق. أرهـف السـمع وهـو ينهـج إلى الهـواء بعيـدًا. مـازال الصـوت يتدفـق لكـنْ ممطوطًـا تكـسرت حوافـه. عـاد إليهـا ببـصره. وجدهـا تتطلـع إليـه برجـاء ثـم قالـتْ بابتسـامة مغتصبـة:

- وأنتَ؟

هز رأسه بالإيجاب.

سألها وهو يلتقط أنفاسه:

- كم لك من الوقت هنا؟

- ربما يومين أو ثلاثة. لم أعد قادرة على التذكر.

سدد إليها نظرة ليتحقق ما إن كان الصوت قد خبلها.

- هل نمتِ خلال ذلك ولو قليلاً؟

مرتْ بأناملها بين شعرها ترسله للخلف:

ـ لا. لم أنـم. كانـت عقـارب السـاعة تـدور مـن الثانيـة عـشرة حتـى الثانيـة عـشرة، ثـم تبـدأ دورة جديـدة، وأنـا لا أدري أليـل هـذا أم نهـار؟

يتسـاقط رأسي مـن التعـب ومـا ألبـث أن أفيـق عـلى صرخـة إنسـان يُجـن في خيـالي أو في الواقـع.

امتـد مـوج الصـوت يلعـق حوائـط العـمارة. لـزم الاثنـان الصمت تمامًـا. كفـا عـن الإتيـان بأيـة حركـة. راحـا يتنصتـان عـلى الهـواء بتوتـر. انحـسر الصـوت مهزومًـا. تنفسـت الصعـداء. قالـت:

- الصـوت هنـا أضعـف مـا يكـون بفضـل الجـدار الإسـمنتي

المبنـى أمـام العـمارة. شـادوه سـاترًا في حـرب مـن الحـروب ، بقـي عـلى حالـه.

هز رأسه بانزعاج:

- في الحـرب كل شيء مفهـوم. أمـا الآن فإننـا لا نـرى العـدو ولا نعـرف أيـة حـرب نخـوض.

دقتْ الأرض بكفها:

- استرح. أستبقى واقفًا هكذا؟

- لن أمكث طويلاً. ما إن يخفت الصوت حتى أخرج.

ابتسمت بألم:

- تخـرج إلى أيـن؟ إلى حيـث تنـزف أذنـاك وحيـدًا عـلى الأسـفلت حتـى المـوت أو الجنـون؟

- لا يمكن أن نقيم هنا إلى الأبد.

- أنا سأبقى. لم تعد عندي قوة ولا قدرة.

تنهدتْ:

- لا أحـبُ أن أمـوت مرميـة بجـوار بالوعـة أو عـلى الرصيـف مثـل طيـور ضربتهـا عاصفـة. يفـر الكثـيرون، أصابعهـم تسـد آذانهـم يهـزون رؤوسـهم مـن الألم وفي النهايـة يتسـاقطون بنظـرات ذاهلـة.

التفت إليها:

- عفوًا.. ما اسمك؟

- هدى. وأنتَ؟

- حاتم.

خبطتْ الأرض بيدها ثانية:

- استرح على الأقل حتى تحل لحظة مواتية للخروج.

ارتمى بجوارها. أسند ظهره إلى الجدار. كان منهكًا للغاية. جرى يومًا كاملاً والآن يشعر أن ساقيه مثل غصنين مكسورين. اختلس نظرة إلى جانب وجهها. رغم الإنهاك البادي عليها إلا أن عينيها الواسعتين وملامحها كانت تشع بجاذبية وجمال خاص. أحست نظرته فلمت طرفي البلوزة المفتوحة عند صدرها.

قال:

- لم يمر علينا زمن كهذا. لا ندري فيم نحن غارقون. لا ندري من أين أو إلى أين نمضى.

قالت تلوك الكلمات ببطء:

- يظن الجميع أن الطمأنينة دائمة، كأنما لا مكان للقلق، ثم يحل وقت تقتص فيه الظلال من النور. أتفهمنى؟

أمعن النظر إلى اللمعة الغريبة التي برقت في عينيها يستوثق إن كانت تهذى من قلة النوم والخوف والتعب.

قالت:

- في الفجر تخفت الأصوات. تصبح عميقة. هل أجد معك سيجارة؟

- لستُ مدخنًا.

- حاجتي إلى سيجارة تعذبني أشد من الجوع.

سألها:

- ألا توجد هنا شقة مفتوحة؟

طرقعتْ بلسانها:

- تؤ. كلها مهجورة وأبوابها مغلقة.

سألتْ:

- كم من الوقت قضيتَ في الشوارع؟

- طيلة اليوم. خرجتُ منذ الصباح أبحث عن «أنسولين» لأمي المريضة بالسكر. لم أجد صيدلية واحدة تعمل. كنتُ أجرى والشوارع تبدو لي مجهولة تكرر نفسها، من دون علامة على الحياة، أندفع أقطع مسافة يمينًا وأخرى يسارًا، أتقدم وأتأخر، لأكتشف أني أرجع إلى النقطة ذاتها.

- أما زالت المدينة على حالها؟

- كل شيء على حاله. الشوارع مهجورة، المحلات مغلقة، محطات المترو، الأسواق، نوافذ البيوت، معتمة، حتى الجو لم يعد يعبره طير ولا نحل كأنه مرسوم في لوحة. في الليل تقف القطط على أفاريز الشرفات. تقوس ظهورها وتنفش شعرها وتموء مواءً طويلاً مرعبًا.

أزاحتْ بطرف قدمها فردة صندل مخلوعة:

- أهلكتني الطرق. يومان كاملان كنتُ كلما تخيلتُ أني وضعتُ قدمي على بداية طريق أجدني حيثما كنتُ، إلى أن حط عليَّ اليأس والتعب وشعور عميق بالمرارة.

سرحتْ ببصرها بعيدًا. بدا أنها انفصلت عما حولها للحظة ثم عادت:

- في البداية لم أصدق شيئًا مما قيل مطلع الربيع الماضي حينما بدأت الأصوات تظهر في مناطق متفرقة. لم أصدق ما كتبته الصحف عن أصوات تتشرخ إلى صرخات صغيرة تشق آذان المارة؛ فينزفون حتى الموت أو الجنون، إلى أن كانت ليلة سمعتُ فيها مع أخي صراخًا من شقة مجاورة يسكنها مهندس شاب بمفرده. استدعينا حارس العمارة وفتحنا الباب بالقوة، فشاهدنا الرجل يركض بملابسه الداخلية من ركن إلى ركن وهو يصرخ. عندما وجدنا أمامه توقف وتطلع إلينا بنظرة ملتاثة وحين هممنا بأن نتقدم نحوه سارع بإلقاء نفسه من نافذة مفتوحة. حينذاك فقط قلتُ لنفسي لابد أن شيئًا ما يحدث. تذكرتُ في تلك الليلة ما جرى في أبريل١٩٦٨حين ظهرتْ السيدة العذراء بعد الهزيمة فوق كنيسة بمنطقة الزيتون. لمحها أحد الخفر على قبة شديدة الانحدار فراح يهتف «نور فوق القبة». واندفع مئات البشر على صيحته ليروا النور الذي هبط من السماء.

مط شفته السفلى بأسف:

- لكن ما يحيط بنا الآن ليس نورًا. وأنا صدقتُ بيان وزارة الصحة حين قالت في البداية: إن الجو مشحون بموجات صوتية مجهولة المصدر وإن الوزارة ستضع مانعات صواعق على أسطح

البيوت. لكن الشك أخذ يراودني مع تزايد عدد الوفيات من تسع حالات في الشهر الثاني، إلى خمس عشرة، ثم إلى عشرين. ثم تأكدت أن شيئًا غريبًا يحدث عندما توقفت عن الظهور سيارات الإسعاف التي كانت تجيء في الأيام الأولى ويهبط منها الأطباء بملابسهم البيضاء. بعدها أخذت المدينة تقفر وتعتم يومًا بعد يوم. لم تُجدِ التفسيرات الدينية والسياسية والعلمية بشيء، إذ أن أحدًا مازال لا يدري من أين جاءت الصرخات وإلى متى تدوم؟

- أتسمحين لي أن أمد ساقي لأستريح قليلا؟

نظرتْ إليه بدهشة وعلى شفتيها بسمة صغيرة:

- أهذا بيتي لأسمح أو لا أسمح؟

فرد ساقيه بجوار ساقيها. أحس بركبتيه تستريحان.

- أكنتَ تعمل أم تدرس؟

- أعملُ من البيت. أجمع الأخبار من وكالات الأنباء والصحف وأدرجها في موقع على الإنترنت. أجلس ثماني ساعات يوميًا أمام الكمبيوتر إلى أن تحمر عيناي وتتيبس رقبتي.

لمع فضول في عينيها:

- أية أخبار؟

- كل شيء. بدءًا من فضائح النجوم مرورًا بالاكتشافات العلمية حتى الكوارث الطبيعية والحروب. أقدم للموقع يوميًا مئة وعشرين خبرًا علاوة على تقرير مرة في الأسبوع

عـن موضـوع مـا.

- غريـب أن يتابـع الإنسـان الأحـداث بوعيـه فقـط، مـن ناحيـة هـو في قلـب الأحـداث تمامًـا ومـن ناحيـة هـو خارجهـا تمامًـا. يتفـرج بالحريـق ولا يكتـوى بنـاره كأنـه في دار عـرض سـينمائي.

- أنـتِ محقـة. لكنـه عمـل في نهايـة الأمـر مثـل كل الأعـمال. وأنـتِ؟

قالت:

- أنـا طبيبـة تخرجـت منـذ ثلاثـة أعـوام. أشـتغل في مستشـفى. كنـت أسـتقبل حـالات الولادة وأشـهد كل يـوم ولادة حيـاة جديدة، رغـم القـذارة التـي تعـم المستشـفى ونقـص المعـدات والأدويـة.

لامسـت كتفـه كتفهـا بالسـهو فشـملته رجفـة خفيفـة. خطـر لـه أن يسـألها إن كانـت مخطوبـة وخـشى أن تـسيء فهمـه وهـما محبوسـان وحدهـما.

قال:

- في كل الأحوال هى حالة غريبة نادرة.

عضتْ على شفتها وهي تتنهد:

- أتظـن أنهـا حالـة نـادرة؟ لقـد سُـمعت صرخـات كهـذه منـذ عـام ١٩٧٠ في مدينـة برسـتول البريطانيـة، ثـم في مدينـة تـاوس المكسـيكية، وبعـد ذلـك في اسـكتلندا ونيوزلنـدا وأمريـكا والهنـد وأيرلنـدا وغيرهـا. افـترض البعـض أن الصـوت وافـد مـن كوكـب آخـر. ورد البعـض هـذا إلى إصابـة مـن يسـمعون الأصـوات بمـرض

نفسي أو خلل سمعي، لكن بفحص كل من سمع الأصوات لم تثبت إصابة أحدهم بأي مرض. أتفهمني؟

اختلس نظرة إلى أذنيها ولم ير أثرًا لأي خيط أحمر يشير إلى إصابتها. تذكر فجأة أن بجيبه باكو بسكويت. أخرجه. فتح الورقة. كان بها أربع قطع نصفها مطحون. فردها أمامها. التهمتْ القطع الأربع بسرعة القطط ثم لعقت ذرات البسكويت بلسانها. مدتْ يدها وراء ظهرها. سحبتْ زجاجة مياه معدنية ممتلئة إلى نصفها. دفعتها إليه: - أتشربْ؟

ابتلع جرعة كبيرة من فم الزجاجة. تناولتها وشربت الجرعة الأخيرة المتبقية. رجتْ الزجاجة ثم ألقت بها قرب قدميها. قالت:

- أحيانًا يشبع المرء من بسكوتة صغيرة.

قال وهو ينطق اسمها لأول مرة:

- يا هدى أنا تابعت بحكم عملي أحداثًا غريبة وأخرى عنيفة. كان هناك دائمًا تفسير لما يجرى حتى وإن كان غير مقبول. ما جرى في البوسنة والهرسك. فظائع معتقل "أبي غريب" بالعراق ومعتقل جوانتنامو التي وصلت حد اختراع تعذيب الإنسان بمحاكاة الغرق. لكنني لا أجد تفسيرًا لما يحدث حولنا. أذكر أن طفلاً من بين آلاف الأطفال السوريين الذين يموتون من البرد والجوع على الحدود التركية قال لأمه قبل أن يموت "سأقول لربنا كل شيء".

بتكتب رواية أو قصص أو مقال ..

بالفصحى، بالعامية أو حتى بالأنجليزى ..

بتحب تكتب ، أو تعرف حد بيحب يكتب ،كلمنا ..

هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك وتكون كاتب ..

لأن فى كيان ، للإبداع مكان ..

اتصل بينا على :

محمول: 01005248794 – 01001872290 – 01000405450

أرضي: 0235688678

www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على :

info@kayanpublishing.com

kayanpub@gmail.com

وتابعنا :

Kayan.publishing

kayan_publishing

Kayanpublishing

kayanpubishing

+KayanPubishing

KayanPublishing